

الصوم.. عبادة روحية للسيطرة على جميع الشهوات



▪ تتراءم أمام أعيننا مجموعة صور تصف لنا أحوال النساء في شهر رمضان لتعلن عن تفريط 2 فكثيرات منهنٌ في التكاليف الشرعية المرتبطة بهذا الشهر الكريم، وبالتالي لا يراعين أداء هذه الفرضية على الوجه الأكمل، وهذه الحالات السلبية تعلق عليها د. عبلة الكhalawi أستاذة الفقه المقارن بجامعة الأزهر.. وترجع من هذه التعليقات بالعديد من الصور ولعلنا بهذا اللقاء نرسم منها صورة مثالية لصوم النساء. الصورة الأولى: طالعنا صورة لامرأة (تعتكف) داخل مطبخها لإعداد مائدة الصيام بها كل ما لذٌ وطاب، ولا تكاد تفرغ من شيء حتى يتواجد عليها الجديد من الأعباء والمتطلبات، لكي تتم "طقوس" هذا الشهر الكريم، فيما عرف عند المسلمين من عادات دخيلة على الصيام، فيا ترى هل إننقل مكان الإعتكاف في هذا الشهر من المسجد إلى المطبخ، أو تناست المرأة واجبها الديني في هذا الشهر في خضم هذه المهام؟

فما هي حقيقة صيام النساء هو هو إمتناع عن الطعام والشراب فقط؟ تعلق لنا د. عبلة الكhalawi فتقول: ينبغي أن تعلم المرأة أن دورها في خدمة أبنائها نوع من العبادة أيضاً، رد على هذا الأمر التكليف بصوم شهر رمضان، فلا بدّ أن تدرك حقيقة صوم هذا الشهر، فليس المقصود بالصوم هو إعداد كم كبير من الأطعمة والوجبات الشهية، فحقيقة الصوم أنّه عبادة روحية تجعل الإنسان يسيطر على جميع شهواته، ويصبح ضمن من قال الله تعالى عنهم: "لا يعصون الله ما أمرهم"، والمرأة في شهر رمضان تخرج عن إلف العادة لتكتشف جهدها في أداء العبادات والطاعات مثل الرجس سواء. الصورة الثانية: جلست مجموعة من النساء يتسمون وينسجون

اللوانا شتى من خيوط أحاديث الغيبة والنميمة وحيينما يسام من من هذا اللون من ألوان تسلية الصيام - كما يطلقن عليها - تأخذ كل منهاً مكانتهاً مناسباً لها أمام التلفاز لتشاهد فيه ما يسري عنها ويسللي صيا مها. وتعجب د. عبلة وتشير إلى الحديث الشريف: "كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش"، قيل: هو الذي يجوع بالنهار ويفطر على حرام، والذي يصوم عن الحال في رمضان ويفطر بالغيبة من لحوم الناس، والذي لا يغض بصره ولا يحفظ لسانه عن الآثام ويقال: إن "العبد إذا كذب أو إغتاب أو سعى في معصية في ساعة من صومه أضاع صومه، وفي الحديث الشريف: "الصوم جُنة" ما لم يخترقها المسلم بكذب أو غيبة، وقيل الغيبة تفطر الصائم، وروي عن بشر بن الحارث عن سفيان: "من إغتاب فسد صومه"، "حصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب" وفي حديث آخر "خمس يفطرن الصائم: الكذب، والغيبة، والنميمة، واليمين الكاذب، والنظرية بشهوة"، ويقال إن من الناس من يكمل له شهر رمضان واحد في عشر رمضانيات أو في عشرين مثل سائر الأعمال من الصلاة والزكاة، وإن وجدت كاملة وإن تمت من سائر تطوعه.

المصورة الثالثة: إنطلق مدفع الإفطار وأذن المؤذن فقد حان وقت صلاة المغرب يسرع كل فرد في الأسرة ليأخذ حظه من ألوان الطعام الكثيرة بإسراف ولا يستطيع واحد منهم أن يتحرك من مكانه من ثقل الطعام الذي في جوفه، ويؤدون الصلاة بتکاسل وجهد شديدين، فهل بذلك تصح أجسامهم وتقوى على أداء ما فرض عليها من عبادات؟ تؤكد د. عبلة الكhalawi أن أحد مقاصد شهر رمضان هو أن يصبح المسلم سليم الجسم من خلال ترك الطعام والشراب حتى تستريح معدته فالمعدة بيت الداء، وعلاج هذا الداء هو الصوم ولذلك لابد من عدم الإسراف في الطعام في شهر رمضان حتى تتحقق مقاصده. المصورة الرابعة: امتلاء المساجد بصفوف المصليات الالاتي حضرن لأداء صلاة التراويح في بداية الشهر الكريم، ثم سرعان ما تناقصت أعدادهن وهذه ظاهرة ملفته للإنتباه تحتاج إلى تعليق! وفي هذا الإطار ترى د. عبلة أن خروج المسلمين إلى المساجد شيء جميل، لأن في ذلك تكليفا بالتعبد وهنا يجب أن نفرق بين صوم العامة وصوم الخاصة وصوم خصوص الخصوص، فالصيام صولة للروح على الجوارح يمتنjan ويتجانسان، ومن هنا يصير المسلم أقرب ما يكون إلى الملائكة. لذا يجب على النساء أن يستثمرون هذا الشهر صياماً وقياماً وأداء للفرائض حتى لا تفوتهن فسائل هذا الشهر المبارك. المصورة الخامسة: حينما تجلس في بيتك في نهار رمضان تصطدم أذنك بصراخ الأُمّهات وهن يخاطبن أبناءهن باللفاظ يندى لها الجبين، ويصل إلى مسامعك عبارات توحى بضيق الخلق والتضرر من الصيام. وتسلط د. عبلة الضوء على هذه المصورة فتقول: إن طب القلوب مرتبط ارتباطاً وثيقاً بطبع الأبدان، فالأم يجب أن تكون قدوة عملية لأبنائها لا تسفهم ولا تصر لهم ولا تعرب عن صدقها بصورة خاطئة، لأن ذلك لا يتاسب وآداب هذا الشهر، فمن أهم المؤثرات على الخريطة الإدراكية بالنسبة للطفل ما يراه من سلوكيات الأب والأُم، ونظراً لكون الأم لصيقة بصفتها دورها في

هذه الحالة يقتضي أكثر أن تتعامل معهم وفق منهج سليم، حتى تعدهم إعداداً لائقاً من خلال تعويدهم على الصلاة منذ الصغر وعلى الصيام تدريجياً، وإنقاذهم بضرورة عدم الخوض فيما لا ينفع، يضاف إلى ذلك أنّه يجب عليها اصطحاب بناتها إلى المسجد وكل هذه التكاليف يجب أن تتم بنوع من الرؤية والأناة والحب والإقناع والتفاهم، وليس بالقهر أو الضغط حتى لا ينفر الأولاد من نصائح أو أوامر الأم. المرة السادسة: تستيقظ سيدة من النوم مبكراً فيتوافد إلى ذهنها ما لديها من أعباء منزلية وواجبات تعبدية فتسأله: كيف أوزان بينهما؟ وتخبره عبلة هذه السيدة مؤكدة فضائل هذا الشهر الكريم، وضرورة مخالفته العادة حتى يقترب المسلم من مصاف الملائكة، فالواجب عليها أن تتبع هذه الرواية، بأن تبدأ يومها بأذكار الصباح وتصلّي جميع الفروض في أوقاتها وتعد طعاماً خفيفاً للإفطار لا يمنع الأسرة من صلاة العشاء والتراويح، دون تعب أو نصب ويجب الحرص على صلاتي التهجد والفجر واغتنام فرصة ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر باعتقادها من منزلتها أسوة بمن يعتكفون من الرجال في المساجد وتم هذا الشهر بإخراج زكاة الفطر. ▶ * أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر